خلاصة الشعر

صباح القس/ بغداد Sabah_ alkass@yahoo.com

تدور علينا الراح في عسجدية
حبتها بأنواع التصاوير فارسُ
قرارتها كسرى وفي جنباتها
مها تدّريها بالقسيّ الفوارس

هذان البيتان للشاعر الحسن بن هانيء المعروف بأبي نواس وعلاقة ابي نواس بالخمر لا تحتاج الى توضيح خاصة في مرحلة الشباب قبل ان يدركه العمر فيزهد.

فقد وصف مجلس الخمر غير مرة ووصف الخمر وأدواتها وجلاسها وسقاتها، لقد كان مبدعا متفردا في هذا الجانب.

ولم يقتصر باب الوصف عنده على مجلس الخمر بل ان الوصف يأخذ مساحة واسعة في شعره.

أراد شيخ ان يختبر قدرة ابي نواس على الوصف وكانت بيده تفاحة فناوله اياها وسأله وصفها قائلا:

يا ربّ تفاحة خلوتُ بها
تشعل نار الهوى في كبدي
قد بتّ في ليلتي أقلبها
أشكو اليها تطاول الكمد
لو ان تفاحة بكت لبكت
من رحمتي هذه التي بيدي

ويبدو من استقراء بيتي ابي نواس ان مجالس الخمر حينذاك تختلف عما هو معتاد في حانات اليوم.

فخمارات اليوم تعطي كل شارب ما يطلبه وحسب حاجته في علب وقنان ذات حجوم مختلفة. أما في عهد ابي نواس وأضرابه، فالخمر تدار على الشاربين بواسطة الزق وجمعها زقاق وهذه الزقاق تملأ من الدن الكبير وجمعها دنان ويحتفظ كل شارب بكأس خاصة يملؤها الساقي او الساقية كلما فرغت. والخمارات حينذاك أشبه بالملاهي الحالية ففيها الرقص، الغناء والموسيقى.

وغايتنا من هذا التقديم توضيح صورة الخمارة في ذلك الوقت لنفهم معنى تدور علينا الراح "الخمر". ومعنى العسجدية القربة الذهبية الكبيرة. وهذه العسجدية الفارسية قد نقشت عليها الكثير من التصاوير المستمدة من الحياة الفارسية كما يوضح ذلك البيت اللاحق.

قرارتها كسرى أي اذا نظرنا الى عمقها أي قرارتها لوجدنا صورة كسرى منقوشة في هذا الموضع. وفي الحبنبات تجد صورة "المها" البقر الوحشي وقد تهيأ الفرسان بأسلحتهم لصيدها.

ان الصورة من الدقة بحيث انك تستطيع ان ترسمها في ذهنك وقد يستطيع رسام ان يصور جانبا من هذا المشهد وهو ما يسميه الشعراء الرسم بالكلمات.

ان ابا نواس قد أبدع في الوصف اذ استطاع ببضع كلمات ان ينقل لنا لوحة كاملة بأبعاد مختلفة: البعد الاول انواع التصاوير والبعد الثاني قرارتها كسرى والبعد الثالث مها تدريها بالقسي الفوارس.

لا أعتقد ان رساما يستطيع في لوحة ان يرسم هذه الأبعاد الثلاثة كما رسمها ابو نواس بالكلمات.

رواية الدكتور سلمان رشيد "شظايا الذاكرة"

سرد على شفا الملحمة.. يحكي عذابات العراقيين

بهرا: متابعات

غالبا ما ينظر الى الرواية على انها قصة طويلة، بينما للقصة ثوابتها وشروطها مثلما للرواية قوانينها وشروطها الخاصة بها. وهناك الكثير ممن جربوا القصة ثم انتقلوا الى الرواية، ذلك ان كتابة القصة غالبا ما تكون تمهيداً للولوج الى عالم الرواية بغزارته وثرائه، غير ان هذه ليست قاعدة على الدوام. الدكتور سلمان رشيد رغم تخصصه العلمي الدقيق إلا أنه كثير الشغف بالأدب الذي يجد فيه ضالته في التعبير عن مكنونات النفس وهو ما لا يتحقق في العلم، وقطعاً فهو ليس الاول في هذا المضمار فكثيرا ما سرقت متعة الادب الاطباء والمهندسين والعلماء من عالمهم.

تقوم الرواية في الاساس على الخبر الذي يتضمنه الكلام العادي الذي يدور بين الناس، اما الخبر نفسه فهو جزء من هذا الكلام الا انه يكتسب اهمية خاصة عند الآخرين بما يستحق نقله وتناقله، عندما سيتحول هذا الخبر الى نواة لعمل سردي. وهكذا فان حوار الشخصيات وردود افعالها لا تصلنا لانها احداث حدثت بل لانها اخبار تستحق الوصول الينا.

ان موضوعة الخبر القابلة لنقلها عبر الكلام انما هي احداث متجددة باستمرار بتجدد الحياة نفسها مع ذلك فهناك افعال للاستمرار يمكن لنا ان نضمنها حوارنا، غير انها لا تمتلك مقومات الخبر الجدير بالذكر من هنا فان مهمة الروائي ان ينتقي بحسه المرهف ما يجده حوارا متجددا قابلا للانتقال واهمال ما لا يراه جديرا بذلك، والا تحولت الرواية الى ركام من الكلام لا جدوى من معظمه.

يستفيد الدكتور سلمان رشيد من تقنيات السينما كثيرا في انتقالاته في الزمان والمكان وقطع اللقطات بخبرة مونتير متمرس، ومثل هكذا عمل انما يحتاج الى قارئ خبر الاساليب الروائية وله القدرة على جمع احداث الرواية، هذا اذا علمنا ان رواية طويلة بهذا الحجم لا يمكن قراءتها بجلسة واحدة في عصر سريع الايقاع.

من الانتقالات السريعة حين يختلي صادق بزوجته علياء وقد تركا اولادهما عند جدهم، تذكره علياء بالايام الخوالي وكيف كان الحب يتقد بينهما فيرد عليها بانه سيبين لها انه لا يزال يحبها بعد ان تخلص من اولاده:

– ليلتنا انس غاب القط العب يا فار.

ثم قطع مفاجيء الى زمان ومكان مختلف تماما:

– استدعى العميد واللجنة التحقيقية الاصدقاء بشكل منفرد.

هذه الانتقالات فيها من لغة السينما اكثر مما فيها من لغة الرواية.

لقد بذل الروائي جهدا كبيرا لتدوين كل ما في ذهنه من مخزون ثقافي واجتماعي وسياسي وصبه في عالم روائي، وحاول ان يقول كل شيء في هذا العمل فتحدث عن الفوارق الطبقية عند لقاء صادق بياسر وان كان الحديث فيه مباشرة بعض الشيء واقترب حديثة احيانا من الدراسة الاجتماعية والتاريخية.

ومن العلاقة بين الشعب العربي والكردي من خلال علاقات أسرية بينهما فبدت العلاقة متينة وان السياسيين وحدهم هم من يبيعون الاحقاد والكراهية للطرفين. تحدث عن الخوف الذي يستبد بالانسان عندما يكون منظما وجارفا فانه يستقر داخله: "فكر في ان يطلب الكلام ليبوح بما يدور في تلافيف دماغه، وجد ان حالة الرعب الداخلية قد شلت لسانه فبدت افكاره تدور في تلافيف دماغه دون ان يجرؤ على ان ينقلها الى شفاهه، رجل الامن الذي يسكن هذه التلافيف صادر حقه في الكلام حتى قبل ان يحاول ان يرفع يده، فكر بالنتائج على زوجته وعائلته فيما لو تكلم". ص ٥٦

لقد سيطر النظام على البلد بأكمله وعلى المناطق الجميلة في بغداد: "تذكرت القوارب التي كانت تنتشر على صفحة النهر، وتذكرت ليالي الصيف المقمرة والتي كنت وشباب المنطقة نستغلها للتسابق في سباحة المسافات القصيرة ما بين الشاطيء والجزر الرملية التي تظهر بعد هبوط منسوب المياه. كل ذلك انتهى يا صديقي، لم يعد ممكنا ان تجد اي مقهى مقابل القصر الجمهوري واختفت لوبياء الشواطيء والمزارعون، والجزر لم يعد يسمح لاحد من الناس بالاقتراب منها، حتى الصيد منع في هذه المنطقة، فقط قوارب الحراسة تتجول" ص ٥٨

يلجأ الروائي الى اساليب سردية يخترق من خلالها قشرة المجتمع العراقي ليغوص في علاقات افراده لنكتشف من خلال ابطاله هذا الواقع، وهو هنا يوظف شخصية الباحث الاجنبي الدكتور جيمس الذي تسترعي انتباهه احوال المجتمع العراقي فيسأل عما يراه من بؤس وعذاب وضنك عيش، من خلال ذلك ومن خلال ردود زملاء الدكتور يطرح الروائي ما يريد ايصاله الى القارئ في نسيج روائي يقدمه بطريقة حرص على ان تكون صادقة ومعبرة.

ويبدو ان زيارة الدكتور جيمس ستشكل أرقا لاساتذة الجامعة بعد اتهامهم بتسريب معلومات الى جهة اجنبية وهكذا يتحول الحوار بين ثقافتين الى جريمة يعاقب عليها القانون في بلد نظام الحزب الواحد، هذا القانون الذي ظهر مثل نبت شيطاني ياتي تعريفه على لسان احدى الشخصيات وكيف يتدخل النظام في حياة الناس.

"الماضي يحمل في رحمه الحاضر، القوى التي صنعت الماضي هي التي تتحكم في الحاضر، هذا الحاضر الذي يصنعه هؤلاء سيحدد لنا المستقبل، المشكلة هي ان من يتحكمون الآن في المكان والزمان يسعون لصناعة وتشكيل كل شيء، ابتداء من اطفالنا مرورا بنا، وانتهاء بالدولة، قد خطط له مسبقا، هل تعتقد بان الازمات التي نعانيها الآن، سواء في حصولنا على المواد الاستهلاكية الضرورية، الى ثقافتنا والكتب والمجلات التي نقرؤها، والمواد التي ندرسها لطلابنا، والقوانين التي تسير حياتنا، بعيدة عن عملية تشكيل حياتنا والاجيال القادمة؟". ص ٣٧

لما كان ابطال العمل من اساتذة الجامعة وبعضهم في كلية الآداب فلا بد ان ياتي الحوار بمستوى تلك الشخصيات غير ان في الرواية كم كبير من الشعر والغناء مبثوثا في ثنايا العمل بدا بعضه مقحما او زائدا.

يقوم بناء الشخصية على وصف الشخصية من الخارج والداخل ومن خلال الحوار نتلمس مشاعر شخصيات العمل التي يتلبسها الخوف ويملأ قلوبها الرعب، هذا الرعب الذي اصبح يعيش مثل فرد في العائلة والعمل والمجتمع من خلال رجال الحزب والمخابرات والمندسين في كل مكان.

(يستغل صادق هذه الفترة ليتحدث الى علياء بعيدا عن الآخرين وعن الدار، الذي يعتبره الكثير مصيدة حيث يزرع التنظيم جواسيسه واجهزة التنصت التي استوردها بمبالغ كبيرة من بعض الدول الاوربية لتساعد رجال الامن الساهرين دوما وعيونهم واذانهم في كل مكان، رجال تدربوا في مدارس الامن الاشتراكية ومزودون بأفضل تكنولوجيا التجسس في العالم الغربي. العراقيون يأخذون بالمثل الشعبي الشائع "للجدران آذان"). ص ٣١

ان رواية " شظايا الذاكرة " بهذا الحجم الكبير وبهذه الكثافة من الاحداث التي تناولتها انما تقترب من العمل الملحمي في سردها، ربما يمكن ان تتشكل منها اكثر من رواية اذا ما علمنا انها تناقش امورا كثيرة لكل منها عمقها وتشعباتها. اغلب الظن ان الروائي سلمان رشيد حرص على ان يضمها في كتاب واحد وكأنه اراد ان تكون صرخة قوية لعذاب طال زمنه، انه عمل جدير بالقراءة لفترة اثقلت كاهل العراقيين وشغلت العالم.

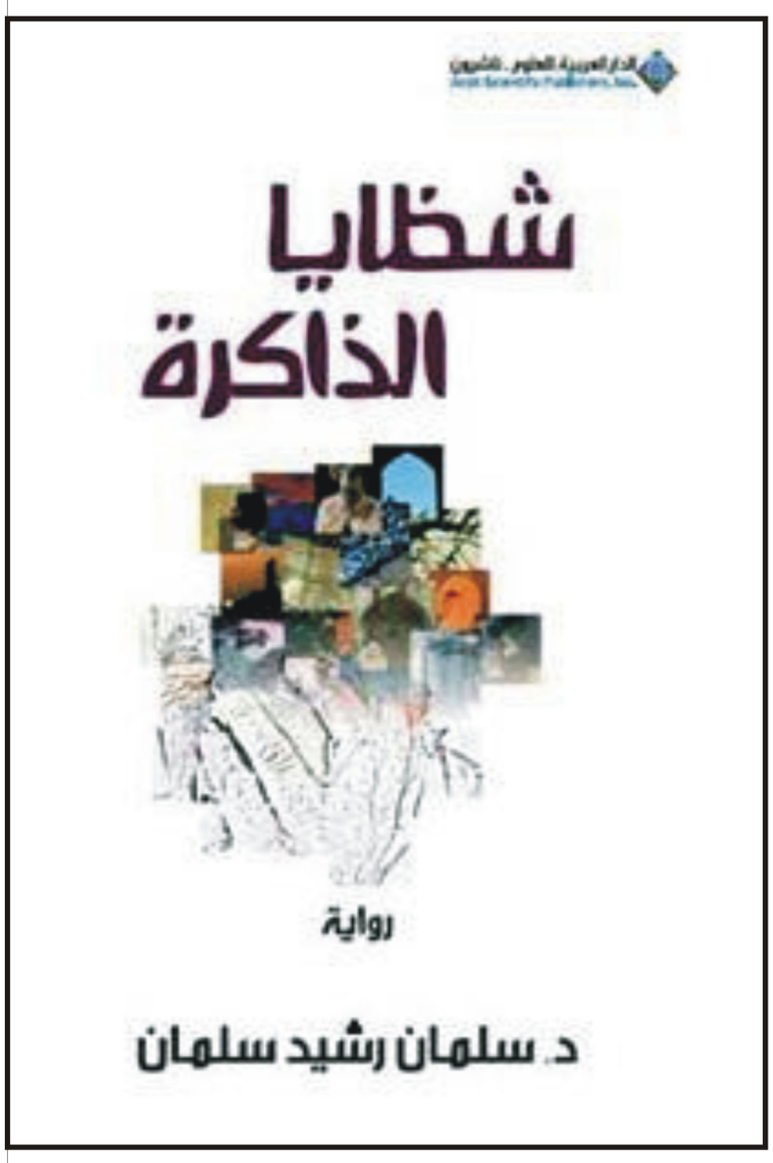

إختطاف!

سمير شاكر الصميدعي *

في تشرين الاول الماضي، أقامت "الرابطة القلميَّة الجديدة" التي يرأسها الشاعر الكبير الاخ يوسف عبد الصمد ويرعاها سعادة السفير الدكتور الشاعر عبد الرحمن الجُدَيع – أقامت حفلاً في نيويورك لتكريمي انا كشاعر. وكنت انا أكثرَ المتعجّبين لذلك!

أنا انظم الشِعر فعلاً، لكنّني مقل ولم اتفرَّغْ للشعر قطّ. على كلّ حال، طغت محبة اخواني واصدقائي في "الرابطة القلمية الجديدة" على قرارهم، وكان ذلك لي شرفًا عظيمًا. وكانت أمسية لن انساها ما حييت. إلا انني لم استطع في حينه ان اقدّم مايليق. كنت اريد ان اقدم قصيدة جديدة بالمناسبة، لكنّ ظروفي لم تتحْ لي فرصةً لذلك، فاضطررت لأن أقرأ مختارات من قصائدَ قديمة. ومع ذلك، كان كرم القائمين عَلى "الرابطة" كبيرًا، فقبلوا ذلك مني برحابة صدر.

وفي صباح اليوم التالي للحفل، استيقظتُ وفي رأسي مطلع قصيدة لشكرهم على كلّ ما فعلوه. اضفت إلى المطلع بيتيَّن آخرين في ذلك الصباح، ثم أكملتها مؤخرًا لتقديمها الى عزيزي الشيخ يوسف هذا اليوم ، وإليكم، في هذا الحفل الذي تقيمه "مؤسسة الحوار" في واشنطن:

أسرتموني وبعضُ الأسر تحريرُ
وقد تقود الى العزِّ المقاديرُ
نَصَبتمُ لي "كميناً" من محبتكم
وفي المحبة تحفيزٌ وتخديرُ
"فخَّختمُ" الشعرَ سحرًا فانجذبتُ له
كما تحطُّ على الفخِّ العصافيرُ
وجدتُني فيه لا حدٌّ لدائرتي
والأفقُ خارجَه ضيقٌ وتحجيرُ
بوّأتموني مقاماً فوق منزلتي
كأنَّها طُوّعت فيّ المعاييرُ
لا أدّعي أنَّني في صفِّكم ابدًا
لكنْ مع الودِّ للتفضيل تبريرُ
صرنا نسافر أحيانًا بعالمنا
الشعر مركبُنا، لا الخيل والعِيرُ
نطير في الأُفق حينًا فوق أجنحةٍ
من القريض لها وقعٌ و تأثيرُ
وتارةً ننكفي غوصاً بانفسنا
بقاربَين هما: حِسٌّ وتفكيرُ
وننثني في أياديناً نُرى دُرَرٌ
سبكٌ وحبكٌ وموسيقىً وتصويرُ
رفاقَ روحي وان كانت صداقتنا
حديثةً لم تعمِّدْها الاعاصيرُ
لكنَّها وُلدتْ عفوًا بلا غرضٍ
وما أُضرَّ بها نأيٌ وتغييرُ
عذراً اذا لم يَرِدْ قولي بموعده،
فربَّما يستزيد الخيرَ تأْخيرُ
فإنَّكم دائمًا في القلب موضعُكم
وإنْ بدا لكمُ بُعدٌ وتقصيرُ
واسَيتموني... جُزيتُم خيرَ عاقبةٍ
إنَّ التعاطف للأحزان إكسيرُ
أُفيق كلَّ صباح مُوقِظاً أملي
لكنْ بغير المنى تأتي الأخابيرُ
قومي وأهلي أراهم خَطبُهم جللٌ
قتلٌ ونهبٌ وترويع وتهجيرُ
ذكرتُ عهد صِبًا قطّعتُه نُهِلاً
والناسُ في نعمةٍ والكلُّ مسرورُ
على الفرات أُقضّي الصيف مغتبطاً
إذ يضحك النخلُ أو تبكي النواعيرُ
ودجلةُ الخير تدعونا فنقطعُها
سباحةً ليس تثنينا المحاذيرُ
وفي مرابعِ بغدادَ التي عَجمَتْ
عودي وما استُنفِدَتْ فيها المشاويرُ
اذ ذاك كانت تُراعى حرمةٌ ويُرى
للجار في جاره حقٌّ وتقديرُ
والناس من شيعةٍ أو سُنَّةٍ أَلفوا
شراكةَ العيش لا لعنٌ وتكفيرُ
من اليهود أَلفنا جيرةً ومنِ أبْـ
ـناء المسيح أتى وعيٌ وتنويرُ
والصابئون بنو النهرين جذْرُهمُ
في الأرض يمتدُّ تُرسيه الزبابيرُ
كنَّا إذا صاح يومًا: للهآلله واحدُنا
هبَّتْ إليه تواسيه الجماهيرُ
فجاءنا قاتلُ الأفراح من نَفَرٍ
خيرُ الصفات بهم كِذْبٌ وتزويرُ
فمجَّد العُرْبَ قومًا وهو خائنُهم
وجرَّد الدين سيفًا وهو خنزيرُ
وسخَّر الجهل في حربٍ مُشرِّعةٍ
وفي الجهالة تخريبٌ وتدميرُ
وصيَّر الحُكمَ حِكرًا في جلاوزةٍ
على أساس سقوط الذِمَّة اختيروا
فمَن تخوَّفَ يخشى فتكَ مقصلةٍ
ومن تجشَّع تُشريه الدنانيرُ
ومن تمنّع لا خوفٌ ولا جشعٌ
يموت صلبًا بأيديه المساميرُ
حتى غدا الوطنُ المنكوب في دَرَكٍ
لم ترَ أمثاله حتى الأساطيرُ
سارت اليه جيوشٌ كي تحرِّره
خيارُ أبنائِهِ قالوا لهم: سيروا
فغارَ كلُّ حَقودٍ هادرًا دمَنا
وصاح كلُّ جهولٍ: دونكم غيروا
أعانَهم ما بنا من جهل إخوتنا
بصائرٌ لم يُفِدْها اليومَ تبصيرُ
آهٍ عليك ولَهْفي فيك يا وطني
في ظلمة الليل، خانتك النواطيرُ
واسَيتموني... جُزيتم خيرَ عاقبة
وفي مواساتكم دَعْمٌ وتصبيرُ
عزاؤنا أنَّ حبلَ الجهلِ منقطعٌ
والناسُ ينفعُها علمٌ وتطويرُ
لسوف نعمل في حَزْمٍ وفي جَلَدٍ
إذا صمدنا ستأتينا التباشيرُ

* عضو مجلس الحكم السابق/ ٢٤ كانون الثاني٢٠٠٧.

المكتبة.. ودورها في تطور المجتمع

حسين شهيد المالكي

المكتبة "كلمة مشتقة من اللغة اللاتينية ومعناها الكتاب" وهي عبارة عن مجموعة من المواد المطبوعة أو المكتوبة مرتبة ومنظمة لغرض الدراسة والبحث على شكل مجاميع. ويمكن تصنيف المكتبات الى أنواع متعددة حسب المهام والخدمات التي تقدمها، فهناك مكتبات عامة ومكتبات متخصصة ومكتبات جامعية ومدرسية ومكتبات رياض الأطفال اضافة الى المكتبات الشخصية "الأهلية".

وتعتمد نهضة المجتمعات المتوثبة الحية على عناصر عديدة. والكتاب والمكتبة يؤلف حجر الزاوية بين تلك العناصر التي تتفاعل سوية لبناء حضارتها وكيانها وإظهار معالمها كأمة لامعة في البناء الإجتماعي الذي يهدف الى خير الانسانية كلها.

وفي اعتقادنا ان المكتبات المنظمة علميا قد أصبحت من ضرورات المجتمع الحديث الذي صار البحث العلمي فيه ركيزة مهمة من ركائز التقدم البشري.

ان وجود المكتبة المنظمة وتوفر الكتاب في أي مجتمع كان يدفع الشباب والمثقفين الى الإقبال على العلم والتزود بأنواع المعرفة وخاصة اذا توفرت في المكتبة جميع وسائل الراحة والتشويق وسهولة تناول الكتب.

والتاريخ يحدثنا ان البرابرة والغزاة في غزواتهم للأمم المتحضرة في سالف الزمان، وكان رأي البرابرة ان أسباب تقدم تلك الشعوب المتحضرة هو إكثارهم من القراءة والكتب وجمعها، فاستهدفوا أول ما استهدفوا تدمير المكتبات وحرق الكتب.

فكان لهم ما أرادوا في كثير من المناسبات، ولعل سلاح الهمجية في العصور المظلمة كان يحارب الكتاب والمكتبة والثقافة أصبحت الهدف الرئيس لأسلحتهم وذلك لوضع العراقيل والعقبات أمام تقدم الحضارات بما يخدم الانسانية المتطلعة الى العيش الأفضل والمستند على العلم والمعرفة.

وتساهم المكتبة والكتاب بمجهود كبير في مضمار العلاقات الدولية وتثقيف الشعوب بنتاج وطباع وأوضاع الشعوب الاخرى.

كما انها تخدم الى مدى كبير التراث الفكري البشري وحضارته من الزوال والنسيان لتواصل البشرية سلسلة نشاطاتها الخيرة على الاستمرار في البقاء.

وفي العراق هذا البلد الذي كان مهدا لحضارة الانسان وفيه بدأت حضارته البشرية تنتشر الى جميع أطراف المعمورة، وفي هذا البلد أنشأت أول مكتبة عراقية في عمق التاريخ "مكتبة آشوربانيبال" على أرض الرافدين، وبمرور الزمن وبعد التطورات في فن الكتابة والطباعة أصبح للكتاب شأن كبير.. ولكن سرعان ما تناولت حضارة العراق يد الهدم ومعول التدمير البربري والمغولي في أواخر القرن الثالث عشر بقيادة هولاكو.. حتى بلغ الحقد بهم جمعوا كتب المكتبات في بغداد ورموها في نهر دجلة.. وهناك رواية تقول "أصبح ماء نهر دجلة لونه أزرق" من كثرة الكتب وأحبارها التي رموها في النهر، ظنا منهم انهم سوف يقضون على "الشيطان" الكامن في بطون الكتب والذي كان في اعتقادهم هو السبب الرئيس في رقي وتطور شعب العراق آنذاك.

فنجحوا وقتيا فيما هدموا وبقي الكتاب فقيرا مهملا فترة طويلة خلال مرحلة احتلالهم حتى بدأ العراق يتصل بالمدنية الحديثة الذي انبثقت في الغرب، وكان أكبر نصرا للمكتبة والكتاب وانتعش الكتاب ثانية في أرض الرافدين وأخذ يتبوأ مكانته المرموقة ليعيد مجده الذهبي على أرض العراق. ولساهم فعلا في تطوير المجتمع العراقي الى مجتمع متمدن يسهم أكثر في رفع مستوى البشرية الى ما تصبو اليه من خير وتقدم وسلام.